أولاً: أكبر الكبائر: الشرك بالله

وهو الداء الخبيث، والمرض القاتل لا محالة، إلا أن يتوب صاحبه، ومن تاب تاب الله عليه. قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر ٦٥)

وتتسع مظاهر الشرك بالله وتتجلى واضحة عند (عباد القبور)، فإن إبليس لما تمكن من هؤلاء الجهلة ورطهم في الشرك وساقهم سوق البهائم. وقد لعن الله تعالى من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يُصلى فيها، فكيف بمن اتخذ القبور أوثانًا يعبدها، ويدع صاحبها من دون الله؟! قال تعالى: ﴿ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾ (الحج: ١٢-١٣).

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **لعن الله**

اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد»، لما فيه من المغالاة في التعظيم، وفي رواية: «**الا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني انهاكم عن ذلك**».

قال ابن القيم. صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك، وتجريدًا وغضبًا لربه أن يعدل به سواه.

وإذا كانت أنواع الشرك تتركز في شرك العبادة، وشرك الأقوال والأفعال، وشرك الإرادات والنيات (كمن أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئًا غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه)، فإنه أكثرها إنتشارًا هي شرك الأقوال والأفعال. قال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً**﴾ (الإسراء:٥٦)، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ (النساء:٤٨)، وليعلم المسلم أن الشرك بالله تعالى لا قتوم أمامه قائمة من عمل أبدًا؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (الأنعام:٨٨).

زيارة القبور وأنواعها

قال الشيخ عبد الله بن بليهد ـ رئيس القضاء في زمانه ـ في الخطاب الذي ألقاه في الاجتماع الذي عقد بين علماء نجد وعلماء مكة المكرمة، قال ـ رحمه الله ـ: واعلموا أن زيارة القبور على ثلاثة أنواع: شرعية، وبدعية، وشركية. ثم عرفها وفصلها:

١ ـ **الزيارة الشرعية:** هي التي القصد منها تذكر الآخرة، والدعاء للميت، واتباع السنة[١].

٢ ـ **الزيارة البدعية:** هي التي القصد منها عبادة الله عند القبور، كما يفعله كثير من الناس، لظنهم أن للعبادة عندها مزية على العبادة في المساجد التي هي أحب البقاع إلى الله، وقد صح عن النبي ﷺ في عدة أحاديث النهي عن الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد.

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فالسنة أن يسلم على الميت ويدعو له.

٣ ـ **الزيارة الشركية**: هي التي القصد منها تعظيم القبور ودعاؤها، أو الذبح لها، أو النذر لها، أو غير ذلك من العبادات التي لا تصلح إلا لله.

فهذا حقيقة الشرك، والأدلة عليه كثيرة جدًا، ولكن لغلبة الجهل وخفاء العلم وبعد العهد بإرشاد النبوة، التبس الأمر على أكثر الناس، وخفي عليهم ما هو في غاية الوضوح، لضعف البصائر وغلبة العوائد، كم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية**».

فإن من لم يعرف الشرك وما ذمه القرآن وعابه، وقع فيه وهو لا يدري[1] اهـ.

خلاصة الخلاصة: فإن عباد القبور صرفوا لغير الله تعالى جميع ما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ من

---

(١) رسالة: «البيان المفيد فيما اتفق عليه علماء مكة المكرمة ونجد في عقائد التوحيد»

الشعائر والعبادات التي لا يعظم بها إلا الله وحده قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف:١٠٦)، وقال أيضًا: ﴿ ومنْ أراد الآخرة وسعىٰ لها سعيها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾ (الإسراء:١٩).

﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ لأن الكفر و الشرك لا يصلح معهما أي عمل قط، ودليله ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن عبد الله بن جدعان، وكان رجلاً مشركًا مات في الجاهلية، يطعم الطعام، وينصر المظلوم، وله من أعمال البر الكثير، فقال ﷺ: «**ما نفعه ذلك، إنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**».

إن من سنن الله تعالى التي لا تتغير أن الله لا يقبل من عباده عملاً إلا أن يأتوا بالتوحيد، الذي هو حق الله على العبيد، ففي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على دابته، فقال: «يا معاذ»، فقلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: «يا معاذ بن جبل»،

قلت: لبيك رسول الله وسعديك، فعاد الثالثة، فقلت: لبيك رسول الله وسعديك، فقال: «**اتدري ما حق الله على العباد؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**». وما كرر النبي ﷺ النداء إلا لأمر عظيم، ينبغي ألا يغفل الناس عنه؛ لأنهم ما خلقوا إلا لعبادة الله تعالى؛ لقوله سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات: ٥٦)، أي إلا ليوحدون. وقال تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾ (فاطر: ٢٤).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «نذير بالتوحيد ونذير عن الشرك».

كذلك في أمر الشفاعة يوم القيامة، فهي خاصة بأهل التوحيد الذين خلصوا أنفسهم من دنس الشرك، ودليله ما رواه أحمد في سنده من حديث أبي موسى، ورواه الترمذي وابن حبان عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**أتاني آت من عند ربي، فخيرني بين أمرين: أن يدخل**

نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا».

روى الإمام أحمد من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وذكره ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿يا أيُّها النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (البقرة: ٢١)، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا - عليهما السلام -، اني آمرك بخمس كلمات ان تعمل بهن وأن تامر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فجمع يحيى بن زكريا - عليهما السلام - بني إسرائيل وقال: إن الله امرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وإن آمركم أن تعملوا بهن، وأولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، فإن مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله من ذهب أو من ورق، فجعل العبد يعمل ويؤدي نتاج عمله إلى غير سيده، فايكم يسره أن يكون عبده كذلك؟».

فيا أخي الحبيب: إياك أن تشرك بالله ربك الذي خلقك فسواك فعدلك، وهو الذي أطعمك ورزقك وأعطاك

منحك، وهو الذي بيده كل شيء وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

قال تعالى ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ (الكهف: ١٠٢).

في تفسير السعدي: وهذا برهان وبيان بطلان دعوى المشركين الكافرين، الذين اتخذوا بعض الأنبياء والأولياء شركاء لله يعبدونهم، ويزعمون أنهم يكونون لهم أولياء، ينجونهم من عذاب الله وينيلونهم ثوابه، وهم قد كفروا بالله وبرسوله.

يقول الله لهم على وجه الاستفهام والإنكار المتقرر بطلانه في العقول: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ أي: لا يكون ذلك ولا يوالي وليٌّ الله، معاديًا لله أبدًا، فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه وسخطه وبغضه، فيكون على هذا المعنى مشابهًا لقوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون (٤٠)

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ (سبأ: ٤٠-٤١). فمن زعم أن يتخذ ولي الله وليًا له وهو معادٍ لله فهو كاذب.

ويحتمل ـ وهو الظاهر ـ أن المعنى: أفحسب الكفار بالله المنابذون لرسله أن يتخذوا من دون الله أولياء ينصرونهم وينفعونهم من دون الله ويرفعون عنهم الأذى؟ هذا حسبان باطل وظن فاسد، فإن جميع المخلوقين ليس بيدهم من النفع والضر شيء ويكون هذا كقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً﴾ (الإسراء: ٥٦)، ﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ (الزخرف: ٨٦). ونحو ذلك من الآيات التي يَذكر الله فيها أن المتخذ من دونه وليًا ينصره ويواليه ضال خائب الرجاء، غير نائل لبعض مقصوده. اهـ.

﴿كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (مريم: ٨٢) أي: ليس الأمر كما زعموا، ولا يكون ما طمعوا، بل ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾

أي: بخلاف ما ظنوا فيهم وما رجوا منهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٥-٦).

﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أي: مدة مقامه في الدنيا، لا ينتفع به مثقال ذرة، ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ لا يسمعون منهم دعاء ولا يجيبون لهم نداءً، هذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشرككم. ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ يلعن بعضهم بعضًا ويتبرأ بعضهم من بعض.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار»[1]. ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار».

---

(١) رواه البخاري.

قال تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.
(البقرة: ٢٢)

قال ابن عباس في الآية: «الأنداد هو الشرك، أخفي من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو زن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتي اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك».

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا ما شاء الله وفلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»[1].

وجاء عن إبراهيم النخعي: «أنه يكره: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك»، قال: «ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان».

---

(١) رواه أبو داود بسند صحيح.

مظاهر أخرى للشرك بالله

١ ـ الحلف بغير الله:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من حلف بغير الله فقد كفر (او) اشرك**»[1].

وقال ابن مسعود: «**لأن احلف بالله كاذبًا احب إليَّ من ان احلف بغيره صادقًا**».

٢ ـ التعلق بتميمة لرفع البلاء:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ (الزمر: ٣٨).

ولأحمد عن عقبة بن عامر مرفوعا: «**من تعلق تميمة فلا اتم الله له، ومن تعلق ودعةً فلا ودع الله له**»، وفي رواية: «**من تعلق تميمة فقد اشرك**».

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

ولابن أبي حاتم عن حذيفة: «أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى، فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف:١٠٦).

- «فلا ودع الله له» أي: لا جعله الله في دعة وسكون، بمعنى لا خفف الله عنه ما يخافه.

٣- الرقى والتمائم:

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً: **«ان لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر[١] إلا قطعت»**.

- وعن عقبة بن نافع أن رسول الله ﷺ قال: **«من علق تميمة فقد أشرك»**[٢].

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الرقى والتمائم والتِّوَلَةَ شرك»**[٣].

---

(١) **الوتر**: حجاب ما بين المنخرين.

(٢) رواه أحمد والحاكم. (٣) رواه أحمد وأبو داود.

- وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «من تعلق شيئًا وُكِلَ إليه»[1].

التمائم: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين.

والرقى: هي التي تسمى العزائم. وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمة.

والتولة: هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. وروى أحمد عن إبراهيم بن أدهم قال: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن».

٤ ـ الذبح لغير الله:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢).

---

(١) رواه أحمد والترمذي.

عن علي ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض»[(١)].

«من غير منار الأرض»: وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب»، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يَجُوزُهُ أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا فخلوا سبيله فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله ـ عزّ وجلّ ـ، فضربوا عنقه فدخل الجنة»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه أحمد.

- **ولا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله:**

لقوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ (التوبة:١٠٨).

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ؟ فقال: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا، قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**»، قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم**»[1].

٥ ـ النذر لغير الله:

قال تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ (الإنسان:٧). وقال: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ (البقرة:٢٧).

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**».

---

(١) رواه أبو داود.

٦ ـ الاستعاذة بغير الله:

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (الجن: ٦).

في تفسير ابن كثير: أي كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس، لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشاً من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها، يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا: أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى بقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوذًا بهم، كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة، أو خوفًا.

وفي تفسير السعدي: أي كان الإنس يعوذون بالجن، عند

ا

(١) رواه مسلم.

لمحاوف والأفزاع ويعبدونهم، فزاد الإنس الجن رهقًا، أي: طغياناً وتكبرًا، لما رأوا الإنس يعبدونهم، ويستعذون بهم.

ويحتمل أن الضمير وهو «الواو» يرجع إلى الجن، أي: زاد الجن الإنس ذعرًا وتخويفًا لما رأوهم يستعيذون بهم، ليلجئوهم إلى الاستعاذة بهم، والتمسك بما هم عليه، فكان الإنسي إذا نزل بوادٍ مخوف، قال: «أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه»..

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتي يرحل من منزله ذلك»**(١).

من نزل منزلٌ (وفي رواية: إذا نزل أحدكم منزلاً): مظنة للهوام والحشرات ونحوها مما يؤذي:

- (فليقل): ندبًا لدفع شرها.
- (أعوذ): أي أعتصم.

---

(١) رواه مسلم.

- (بكلمات الله): أي صفاته القائمة بذاته التي بها ظهر الوجود وبعد العدم، وبها يقول للشيء كن فيكون.

- قال القرطبي: خبر صحيح، وقول صادق، فإني منذ سمعته عملت به فلم يضرني شيء ... فتركته ليلة، فلدغتني عقرب.

٧ ـ الاستغاثة والدعاء بغير الله:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ (يونس: ١٠٦-١٠٧)، وقال: ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾ (العنكبوت: ١٧)، وقال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأحقاف: ٥)، وقال: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ (النمل: ٦٢)، وقال: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ (فاطر: ١٣).

والقطمير: هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة، أي لا

يملكون من السموات والأرض شيئًا ولا بمقدار هذا القطمير.

روى الطبراني بإسناده أنه كان في زمان النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**».

ثانيًا ـ الكفر بآيات الله ولقائه

من محـبطات الأعمـال؛ لأنها على غيـر أساس، فـقد فقدت هذه الأعـمال شرط قبـولها، وهو الإيمان بآيات الله الدالة على صحـة ما أرسل به الرسـل، والتصـديق بجـزائه ـ سبحانه وتعالى ـ، فإنهـا أعمال من لا يؤمن باليوم الآخر ولا يرجو فيـها ثوابًا، وليس لها غاية تنتـهي إليها، فلذلك اضمحلت وبطلت.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٢).

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي عملوا أعمالاً باطلة على غـير شريعـة مشروعـة مرضيـة مقـبولة، وهم يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقامها على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة.

﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي لا تثقل موازينهم لأنها خالية من كل خير.

وفي البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**». لأن الوزن فائدته مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم شرطها وهو الإيمان.

كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ (طه:١١٢)، لكن تعد أعمالهم وتحصى، ويقررون بها ويخزون بها على رؤوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ أي: حبوط أعمالهم وأنه لا يقام لهم يوم القيامة وزن، لحقارتهم

وخستهم بكفرهم بآيات الله واتخاذهم آياته ورسله هزواً يستهزؤون بها ويسخرون منهم، مع أن الواجب في آيات الله ورسله الإيمان التام بها والتعظيم لها، والقيام بها أتم القيام، وهؤلاء عكسوا القضية، فانعكس أمرهم وتعسوا وانتكسوا في العذاب.

وكما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الاعراف: ١٤٧)، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ (الروم: ١٦)، وقال أيضاً: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس: ٤٥)، ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٥)، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (العنكبوت: ٢٣)، أي الذين جحدوا وكفروا بالمعاد لا نصيب لهم من رحمة الله ولهم عذاب موجع شديد في الدنيا والآخرة.

كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: ٢٨).

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الذي استحقوه ونالوه، ﴿بِـ﴾ سبب ﴿أَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ من كل كفر وفسوق وعصيان، ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه ولا يدنيهم منه، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته ويضاعف له أجره وثوابه.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (محمد: ٨-١١).

وأما الذين كفروا بربهم ونصروا الباطل ﴿فَتَعْسًا لَهُمْ﴾، فإنهم في تعس، أي انتكاس من أمرهم وخذلان.

وقد ثبت في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «تعس عبد الدنيا وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ..»[1].

أي فلا شفاه الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: أبطل أعمالهم وأحبطها، وهي التي يكيدون بها الحق فرجع كيدهم في نحورهم، وبطلت أعمالهم التي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله.

ذلك الإضلال والتعس للذين كفروا بسبب أنهم ﴿كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن الذي أنزله صلاحًا للعباد وفلاحًا لهم، فلم يقبلوه، بل أبغضوه وكرهوه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ هؤلاء المكذبون بالرسول ﷺ ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب، فإنهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة إلا وجدوا من كان قبلهم قد بادوا وهلكوا، واستأصلهم التكذيب والكفر فخمدوا ودمر الله عليهم أموالهم وديارهم،

بل دمر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين في كل زمان ومكان أمثال هذه العواقب الوخيمة والعقوبات الذميمة.

وأما المؤمنون، فإن الله تعالىٰ ينجيهم من العذاب، ويجزل لهم كثير الثواب.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»، فقلت: يا رسول الله، أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ قال: «**ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه**»[1].

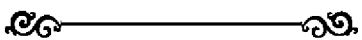

(١) رواه القضاعي عن أبي هريرة.

ثالثا. كراهية ولو بعض ما أنزل الله

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد:٩)، فكراهية شي من شرع الله تعالى وهدي نبيه الأمين، محبط للعمل، كالذين يعتقدون أن الشرع لا يصلح في هذه الأزمنة ويرون بعض أحكامه جمودًا ورجعية.

قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:٨٥)، وفيها دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر كلها واجتناب جميع النواهي.

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب:٣٦)، فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول.

فلا ينبغي ولا يليق من اتصف بالإيمان إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله ورسوله وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه وبين أمر الله ورسوله.

وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[1] (ذكره ابن كثير في تفسيره).

ولقد قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة، لموافقة الصحابة إياه على شيئين: أحدهما ـ الكفر، والآخر ـ منع الزكاة. وذلك لأن هؤلاء المرتدين امتنعوا من قبول فرض الزكاة ومن أدائها، فانتظموا به معنيين:

أحدهما ـ الامتناع من قبول أمر الله تعالى، وذلك كفر.

والآخر ـ الامتناع من أداء الصدقات المفروضة في أموالهم إلى الإمام، فكان قتاله إياهم للأمرين جميعًا، ولذلك قال: «**لو منعوني عقالاً ـ وفي بعض الأخبار: عناقًا ـ مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه**»[1].

---

(١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

رابعاً ـ النفاق وما ينجم عنه

من أمـراض القلب، التي تجعـل المنافقين أشـحاء، قـد جمـعوا بهـا الجبن والبخل والكـذب وقلة الخيـر .. أيضًا حرص هؤلاء على الدنيـا يجعلهم يتزرعون بأسـباب واهية ليولون الأدبار.

قال تـعالى في سـورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا ﴾ (الأحزاب: ١٢)، وقال: ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً ﴾ (الأحزاب: ١٥)، وقال: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (الأحزاب: ١٩).

﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ بأبدانهم عند القتال، وبأموالهم عند النفقـة فيه، فـلا يجاهدون بأموالهم وأنفـسهم ﴿ كَالَّذِي

﴿ يُغْشَىٰ عَلَيْهِ ﴾ أي: نظر المغشي عليه من ﴿ الْمَوْتِ ﴾ الجبن الذي خلع قلوبهم، والقلق الذي أذهلهم، وخور إجبارهم على ما يكرهون من القتال، ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ ﴾ وصاروا في حال الأمن والطمأنينة ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ أي: خاطبوكم وتكلموا معكم بكلام جديد ودعاوى غير صحيحة وحين تسمعهم تظنهم أهل الشجاعة والإقدام.

﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ الذي يراد منهم، وهذا شر ما في الإنسان، أن يكون شحيحًا بما له أن ينفقه في وجهه، شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحًا بجاهه شحيحًا بعلمه ونصيحته ورأيه.

﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الذين بتلك الحالة ﴿ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ بسبب عدم إيمانهم، ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾.

* وأما المؤمنون، فقد وقاهم الله شح أنفسهم ووفقهم لبذل ما أمروا به من بذل أبدانهم في القتال في سبيله وإعلاء كلمته، وأموالهم للنفقة في طرق الخير وجاههم

وعلمهم. ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ يقول منكرًا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٦٧).

ـ في تفسير السعدي: ﴿بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضًا، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ فلا يذكرونه إلا قليلاً، ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ من رحمته، فلا يوفقهم لخير ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار خالدين فيها مخلدين.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ حصر الفسق فيهم؛ لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم والإحتراز منهم شديد.

ثم يخبر تعالى بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨) كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلاَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (التوبة: ٦٨-٦٩).

يقول تعالى واصفًا حال المنافقين بعد أن جمعهم بالكفار[1] في نار جهنم، واللعنة والخلود في ذلك؛ لاجتماعهم في الدنيا على الكفر والمعاداة لله ورسوله والكفر بآياته، يقول: إن كحال ـ أيها المنافقون ـ كما أمثالكم ممن سبقوكم إلى النفاق والكفر، وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أحوالاً وأولادًا، استمتعوا بما قدر لهم من حظوظ الدنيا وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه وقابلوا أنبياءهم

(١) كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ الآية (الحشر: ١١).

بالاستخفاف، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم، وقد استمتعتم بما قدر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل. إنهم لذلك قد بطلت أعمالهم ومساعيهم، فلا ثواب لهم عليها، فلم تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، وكانوا هم الخاسرين، وأنتم مثلهم في الحال والمال والعاقبة الوخيمة.

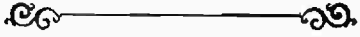

خامساً ـ الشح أعظم الظلم

الحاصل أن الشح من جميع وجوهه يخالف الإيمان، كما قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: ١٩).

* ومن ثم، ورد أنه لا يجتمع الشح والإيمان في قلب أبدًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدًا، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا**»[1].

* قال الماوردي: وينشأ عن الشح من الأخلاق المذمومة ـ وإن كانت ذريعة إلى كل مذموم ـ أربعة أخلاق، ناهيك بها ذمًا: الحرص، والشره، وسوء الخلق، ومنع الحقوق.

ـ وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح**

---

(١) رواه النسائي والحاكم.

أهلك من كان قبلكم، حملهم أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[1].

«اتقوا الظلم»: بأن يأخذ مال الغير بغير حق، أو التناول من عرضه، ونحو ذلك. قال بعضهم: ليس شيء أقرب إلى تغيير النعم من الإقامة على الظلم. وإنما ينشأ الظلم من ظلمة القلب؛ لأنه لو استنار بنور الهدى تجنب سبل الردى، فإذا سعى المتقون بنورهم الحاصل بسبب التقوى، احتوشت ظلمات ظلم الظالم، فغمرته فأعمته حتى لا يغني عنه ظلمه شيئًا.

«واتقوا الشح»: الذي هو بخل مع حرص أو منع الواجب.

ـ قال الطيبي: فالبخل مطلق المنع، والشح المنع مع ظلم، وعطف الشح الذي هو نوع من أنواع الظلم، اشعاراً بأن الشح أعظم أنواعه؛ لأنه من نتائج حب الدنيا ولذاتها، ومن ثم وجهه بقوله: «فإن الشح أهلك من كان قبلكم» من

---

(١) رواه مسلم.

الأمم، حيث أسالوا دماءهم بالقوة الغضبية بخلاً بالمال، وحرصًا على الاستئثار به.

«واستحلوا محارمهم»: أي استباحوا نساءهم أو ما حرم الله من أموالهم وغيرها، وهذا على سبيل الاستئناف، فإن استحلال المحارم جامع لجميع أنواع الظلم.

ومن السياق عرف أن مقصود الحديث بالذات ذكر الشح وذكر الظلم، توطئة وتمهيدًا لذكره وأبرزه في هذا التركيب، إيذانًا بشدة قبح الشح[1].

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الحشر: ٩)

* في تفسير السعدي: ووقاية شح النفس يشمل وقايتها الشح في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقى العبد شح نفسه سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعًا منقادًا منشرحًا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه،

(١) «شرح فيض القدير»

وإن كان محبوبًا للنفس، تدعو إليه وتتطلع إليه، وسمحت نفسه ببـذل الأموال في سبيل الله وابتغـاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز.

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾.

(الليل: ٨-١١)

﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ بما أمـر به فتـرك الإنفـاق الواجب والمسـتـحب ولم تسـمـح له نفسـه بأداء مـا وجب لله، ﴿ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ عن الله، فترك عـبوديته جانبـاً ولم ير نفسه مفتقرة غاية الإفتـقار إلى ربها الذي لا نجاة لها ولا فوز ولا فلاح إلا بأن يكون هو مـحبوبهـا ومعبودها الذي تقـصده وتتوجه إليه، ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ أي: بما أوجب الله على العباد من التصديق به ومن العقـائد الدينية وما ترتب عليها من الجزاء. ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ أي: للحالة العـسرى والخصال الذميمة، بأن يكون ميسرًا للشر أينما كان ومقيضًا له أفعال المعاصي . . نسأل الله العافية.

﴿وما يُغْني عَنْهُ مالُهُ﴾ الذي أطغاه واستغنى به وبخل به، ﴿إذا تردَّى﴾ أي هلك ومات، فإنه لا يصحب الإنسان إلا عمله الصالح، وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب فإنه يكون وبالاً عليه إذا لم يقدم منه لآخرته شيئًا.

- رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، امرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وامرهم بالفجور ففجروا»**[1].

«وامرهم بالفجور»: أي الميل عن القصد والسداد والانبعاث في المعاصي. **«ففجروا»**: أي أمرهم بالزنا فزنوا.

عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«الشحيح لا يدخل الجنة»**[2].

---

(١) رواه أبو داود والحاكم.

(٢) رواه الخطيب في كتاب «البخلاء»، والطبراني والديلمي.

«**الشحيح**»: أي البخيل الحريص على ما سبق بما فيه.

«**لا يدخل الجنة**»: مع هذه الخصلة حتى يطهر منها، إما بتوبة صحيحة في الدنيا، أو بالعفو، أو بالعذاب.

وحقيقة الإنسان عبارة عن روح ونفس وقلب، وإنما سُمي القلب قلبًا لأنه يميل تارة إلى الروح ويتصف بها فيفوز ويفلح، فيدخل صاحبه الجنة، وإذا اتصف بصفة النفس أظلم، فكان للشح، فخاب وخسر، فلا يدخل الجنة حتى يطهر من دنسه.

* وكما تقدم من أن الشح من صفات المنافقين، فإنه أيضًا من علامات الساعة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يتقارب الزمان، ويقبض العلم، ويُلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج**»، قيل: وما الهرج؟ قال: «**القتل**»[1].

يُلقى: يُطرح.

---

(١) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والحافظ العراقي.